

المحاكمة محمد الماعوط

(قاعة محكمة منخفضة السقف جداً ومظلمة جداً . القاضي يجلس خلف طاولة مرتفعة تأخذ حيزاً كبيراً من ساحة القاعة ، وقد تدلت السياط المجدولة من زواياها . حاجب مدجج بالسلاح على يمين القاضي . المتهم يقف بعيداً كالجرذ في الجانب الآخر من القاعة ، وخلفه صورة جمجمة وعصفور معلقة على الحائط . هو نفسه صانع الاحذية الذي كان معتقلاً في الصحراء في فصل سابق من المسرحية) .

القاضي : ليس من اغرب الامور ، بل من اكثرها شناعة واستهتاراً بالمثل والتقاليد ، ان يخرج صانع احذية قذر ، لم ير في حياته سحابة او عصفوراً ، من حانوته ، ويتجول حافياً مع زوجته واطفاله على الزجاج المحطم ، مطالباً بالمطر والحب . احبك الجحيم . هيا تقدم .

المتهم : لقد تقدمت ما فيه الكفاية يا سيدي .

القاضي : قلت تقدم ، ولا تجعل الانكسار والمذلة شعارك الخالد منذ الآن .

المتهم : سيدي ، يكاد انفي يلامس حذاءك .

الحاجب : وماذا في الامر ؟ انه انظف من كل أنوف العالم ، انه الممثل الشخصي لمولانا الامير .

المتهم : اعرف ذلك ولكن -

الحاجب : ولكن ماذا ؟ (يصفعه على وجهه) .

المتهم : لكن لا شيء . ارجوكم ، او بالاحرى ارجوكم ، سأقدم في الاتجاه الذي

تريده العدالة والتاريخ ، والمسافة التي ترضي سيدي الحاجب . سأقف على

الطاولة اذا اقتضى الامر . ولكن مهما كان وضعي قميئاً ومنحطاً ، لا احب

ان اخاطب حذاء ما .

الحاجب : انني لا اطلب منك التقدم كي اهمي على صدرك وانتحب ، ولا لكي اتأمل

هذه الاسنان الجاحظة والمهياة كالبنادق لقضم اي شيء ، اي شيء حتى هذه العنق

(مشيراً الى عنق القاضي) . اليس كذلك ؟

المتهم : (بصوت خافت) هذا العنق او غيرها ، عندما ارى طفلي يفكر في كثير من

الاحيان بالتهام شقيقته الرضيعة وهي نائمة .

الحاجب : نحن هنا في محكمة وليس في مطعم .

المتهم : اعرف ذلك يا سيدي .

القاضي : (بعد ان يلتفت الى الحاجب) قد تعرف انك في محكمة وليس في مطعم ،

ولكنك لن تعرف ابدا ان حياتك كلها مسطرة في هذا الملف ، وان عدالتنا لا تجلس على السطوح حتى تتكهن بنتائجها كما يلوح في عينيك . انها تختفي وتبرز ساعة تشاء ، ولكن فيما يضمن مصلحة الدولة وسلامة المواطنين .

المتهم : اعرف يا سيدي ان ملفي كبير كبير ، وان عدالتكم ، بل وكل عدالة في العالم ،

تختفي وتبرز كمخالب القط ساعة تشاء . ولكن ما اعرفه ايضا انه مهما تكن تلك المخالب صلبة وحادة فانها مقوسة ، ولذلك من المستحيل ان تسير بشكل مستقيم . ثم لا اظن ، من جهة اخرى ، ان هذا الشيء الموضوع قرب ابريق الماء (مشيرا الى الملف) هو حياتي ، او حياة مسيار صغير في حانوتي .

القاضي : لقد كتبه رجال مختصون وعادلون ، واي شك في هاتين النقطتين هو كالشك

بحرارة النار وبرودة الصقيع .

المتهم : كما تريد يا سيدي ، ولكن —

القاضي : ولكن ماذا ؟

الحاجب : (للقاضي) لا تصرخ كثيرا : لقد ثقبت اذني . (للمتهم) هيا ، ولكن ماذا ؟

المتهم : لاشيء . ولكنني عندما فكرت منذ لحظة بان كل ما قاسيته وسأقاسيه من

مرض وحزن وزواج وولادة ، مختصر بهذا الشكل — كحاشية في دفتر يقال — شعرت بان الحياة ليست غير محتملة فحسب ، بل ان مجرد التفكير بها اكثر قسوة من سقوط سيف مشهور على رأس القلب . وان كل ما احس به ولا احس لا معنى له على الاطلاق . قل ما تريد وسأجيبك كما تريد . اذا الاختصاص والعدالة شيان هائلان احني لهما كل ما تبقى من الاشياء المنتصبة في جسدي المتواضع هذا .

الحاجب : وهذا ما نريده بالضبط ، لان هذه المحاكمة ليست وسيلة لنكأ الجراح والتدقيق

بالنظارات في شؤون الحزن والزواج والولادة ، بقدر ما هي طمر خارق وفذ لكل هذه الامور ، ولتكون من جهة اخرى ضامدا تاريخيا لكل الجراح التي فتحت بالاصابع ، في قلب الوطن ، باسم الحرية والجنس والمداعبات السرية ، وبقية تلك السخافات التي تكرع منها قبضاتكم كما يكرع البط في الماء .

المتهم : ارجوك ان تقرأ الوقائع .

القاضي : ولم العجلة ؟ هل نحن في قطار ؟

المتهم : لانني لا اعرفها .

الحاجب : تعرفها او لاتعرفها ، ستحاكم بموجبها . اقرأ ايها القاضي .

القاضي : سأقرأها فوراً ياسيدي .

الحاجب : اقرأ المقدمة فقط ، واترك التفاصيل للتاريخ .

القاضي : نعم ، للتاريخ ياسيدي .

(القاضي يزم شفتيه على لفافته ، ويتشبث بالملف كأنه يقود سيارة) منذ الف عام ، او بعد الف عام ، لا نذكر ، في الربيع او الخريف ، لا نذكر ، شهود المتهم بصحبة امرأة حنطية اللون ممزقة الثياب مع عدد من الاطفال ، يسرون الهويني تحت الغمام الشفاف بطريقة لا تتفق ابداً مع ما يتطلبه هذا الوطن من صلابة ومجد ، ويحمل كل منهم سنبله جافة كالخشب ، باحترام بالغ وحنان لا يوصف ، كما يحمل الكهنة شموعهم في المعابد ، يتعانقون ويهتفون علناً في الشوارع المقفرة وامام النوافذ المغلقة : « يحيا المطر والحب » . كما كان المتهم والمتهمة يقبل واحدهما الآخر علانية كلما مرت سحابة من بعيد ، دون اي شعور بالخجل والمسؤولية تجاه رغبتنا في المحافظة على سرية النصوص وعظمة الشرائع .

المتهم : (مقاطعاً) سيدي ، سيدي ، وما الجريمة في ان يحمل عاشقان ما سنبلتين محطمتين ؟ ما الجريمة في ذلك ؟ هل تريد منهما ان يحملتا مسدسين ليكونا مواطنين شريفيين نبيلين ؟

الحاجب : قاطعني مرة اخرى لانني هذا القرار بدمك . تابع ايها القاضي .

القاضي : وعندما اقترب احد رجالنا من المتهم للاستفسار منه عن سر هذا التصرف المرعب ، زجره بقسوة وضربته المرأة العاشقة بسنبلتها ضرباً مبرحاً على فمه ويديه ، مما سبب له رضوضاً عميقة وواضحة الى اقصى الحدود . وبدلاً من ان يلتقطاه عن الارض ويضاه الى صدرهما بحنان ، التقتا سنابل القمع المضرجة بدمه وراحا يطيران طيراناً تحت اوراق الخريف . ولكن عندما استيقظ الجاني عليه لحق بهما فوراً والدم ينزف من فمه واصابعه ، وطلب بطاقتهم الشخصية والتوقيع على مذكرات بالقبض عليهم ، فرفضوا . بل وسخروا منه وهو في قمة آلامه وانفعالاته ، حتى ان احد الاطفال تناول الورقة منه وهزها طويلاً بيده ثم جعلها ووضعها في فمه وهو يضحك واللعب يقطر من طوقه الازرق الجميل ، يضحك ويضحك وينظر الى عيني الحارس الغاضبتين

القانونيتين . حينذاك لم يجد بداً من تأدية واجبه ، فأطلق الرصاص على الطفل .
وهنا جنّ جنون الوالدين ، واخذوا يزعقان ويشتمان ، وينثران التراب على
رأسيهما ، بينما الطفل القليل لم يتحرك ، بل بقي مكباً على وجهه ، وساقاه
منفرجتان ، وكأنه سيمتطي دراجته الصغيرة بعد لحظة .

ولذلك ، ونتيجة لهذه الجريمة الخطيرة ، قررنا انا وحاجي ، بناء على
السلطة الممنوحة لنا من مولانا الامير ، توقيف المدعى عليه في سجن الحرية
المركزي ، ومنع المحاكمة عن الخريف لانه هجر الوطن سحابةً اثر سحابة
بعد وقوع الحادث . ثم فرض الإقامة الجبرية على الام في صحراء من الرمال ،
مع مصادرة كافة امشاطها واقراطها وادوات زينتها ، ومنعها منعاً باتاً من
الحين الى زوجها واطفائها قبل انتهاء التحقيق ، ثم تحريم اللعب على الطفلين
الباقين ، وحجز كل منها في قفص صغير للأرانب في صحراء اخرى ، مع
مصادرة كافة لعبهما وطاباتهما المنقولة وغير المنقولة ، حتى يصدر امر
معاكس لذلك .

قرار قطعي غير قابل للنقض او الطعن -

الحاجب : ولو نهض جميع مؤرخي القانون واطفال العالم عراةً من قبورهم . (فترة صمت).
المتهم : (يسح العرق عن وجهه) سيدي ، سيدي ، لا اعرف فعلاً بآية لغة اهنتك . ان
الانسانية كلها ، التاريخ بمجمله ، ملخص في بضعة سطور . كان يجب ان لا
تلقى والنوافذ مفتوحة هكذا .

القاضي : انني لست بحاجة الى مديح ، فرسائل الاعجاب تملأ ادراجي ، ولن يتغير
موقفي من جريمتك النكراء ولو امطرتني مدائحك كالسهام .

المتهم : معاذ الله ياسيدي ؛ ولكنها المفاجأة ، الدهشة العظيمة لرؤية العالم مقذوفاً
بكل وميضه الجاهلي ككرة القدم الى وراء ، ممزقاً شبكة الرمي ، مطيحاً
بالقسم الاعظم من المتفرجين ؛ انها القناعة المطلقة بما تقول وما لا تقول ، هي
التي جعلتني احلم الآن بالموت تحت المطر ، بقوارب مهشمة يسيل على صواريخها
المتأرجحة دم العصافير ودم الاطفال . الطعنة العميقة خارج الجلد هي التي
جعلتني اتوجس وانهار ، غارسا اصابعي حتى نهايتها في هذه الارض التي
انجبتك صدفة كالينبوع ، كالطوفان . آه ، النجدة ، النجدة . يا طفلي الصغير
الحبيب ، انني اختنق . (يتكلم على قدمي القاضي وينتحب) .

القاضي : قف بعيداً ، هناك . لسنا بحاجة الى مزيد من الدموع .

الحاجب : عندنا مستودعات منها . تابع ايها القاضي .

القاضي : نعم ياسيدي .

هناك تماثيل من البرونز لجبناء ولصوص ، نصب تذكارية لبغايا ، اسوار من اللؤلؤ والياسمين لجواسيس يحملون وطنهم في محافظهم ، فرسان بعمر الورود دخلوا روما وخرجوا منها واحشاؤهم معلقة على اطراف سيوفهم ، في طريقهم الى المنفى ، ورجال تافهون دخلوا دورات المياه وخرجوا منها في طريقهم الى العرش .

ولذلك فنحن لا نريد ان نسبح في الاخطاء مرة اخرى . سنمخر عباب العالم وسكين التصفية بين اسناننا ، وعلى السفن ان تبهر في اقصى الظلمات واحلكها على حرائق المسافرين ونيران الجبال وزوارق النجاة ، اذا كان الوطن محاصرا في جزيرة ما . ان الاطفال والعصافير والفراشات والاحلام الصغيرة ، لا يحق لها شرف ان تكون حتى نقطة او فواصل في صفحات التاريخ ، وعلى حناجر البلابل ذاتها ان تسحق سحقا اذا كانت اغنيات المستقبل شؤما في آذان الريح .

ما هي قيمة طفل بحجم العلبة ، بالنسبة لتلك الاساطيل المهشمة ، والمضخات التي تستخلص حتى القطرة الاخيرة من فم الجذور وتقتشف الينابيع ؟

ما قيمة بكاء فلاح مجهول ، او قلق عاشقة مجهولة في مقهى مجهول ، بالنسبة لضحكات الابناء العائدين من النصر ؟

ستقول لي : ولكن القسوة ياسيدي ليست في ان ترى شعبا غارقا بالدم ، او حضارة موشكة على السقوط وإبطها بمتناول يدك ، ولا تفعل شيئا ، بل في ان ترى فراشة صغيرة تتزحلق منذ الظهيرة على الزجاج وتلبط الهواء بفخذيها الرفيعتين دون جدوى ، وتراها في منتصف الليل وهي ما زالت تتزحلق على الزجاج وتلبط الهواء بفخذيها الرفيعتين وهي تلهث دون جدوى ، ولا تفعل شيئا . ولكنني سأجيبك على كل ذلك بانه هراء . الطفولة بذرة الصراخ ، والريح موطننا ومناخا ، اما الورود والفراشات والاحلام الصغيرة ، لا كرمز بل كورود وفراشات واحلام صغيرة ، فهي شبح سري يهددنا من اعماق جذورنا .

هل يتحدث العشاق في المقاهي عن الدماطل المتفسخة في المستشفيات ، وارتجاف العمال في المهارير ؟ ابدأ ، انهم يتحدثون عن الورود والاحلام الصغيرة ، حيث يرقد صراخ المستقبل ورعب الناشئة ، عندما تهرم المرأة التي

احبوها وتتجمع النهود والاصابع التي داعبوها ، ويغطي غبار الحروب جدران المقاهي ، واكوابها المتقابلة على اطراف المناضد .

هيا ، ليلتق العبيد والفولاذ في مكان ما ، كذئبين كاسرين في غابة مزهرة او شارع يغمره الوحل ، وهذا مسدسي جاهز لرصاصة الخلاص .

هيا . انني لا اعلم كيف تم مثل هذه الامور ، ولكنها تتم ، وليس من اختصاصي ان اعرف كيف . كل ما يهمني هو انني البس قميصا نظيفا كل يوم ، وآكل ثلاث وجبات كل يوم ، واضاع زوجتي ساعة اشاء وانا افكر بترقيتي المحددة بتاريخ محدود . ولكن من يحوج ؟ من يعمرى ؟ من يضاجع عذرة ؟ فهذا ليس من اختصاصي . ان الاشياء اجنحة يضرب بعضها بعضا وتنفذ ، تختلط وتهدر كالماء ، ونحن ندور فوقها كالنواخير . والآن ماذا تريد بعد ذلك كله ؟

المتهم : اريد طفلي يا سيدي .

الحاجب : (صارخا) لقد اغلقنا هذا الموضوع .

المتهم : ولكن هذا لا يجوز يا سيدي ؛ كأنك تغلق بذلك فهي على كتلة من النار . ان الطفل لم يبرح ذاكرتي .

الحاجب : (ملتفتا الى القاضي) سيدي لم اعد اطيع الانتظار . (ملتفتا الى المتهم) أ وتسمي تلك القطعة البديئة من اللحم طفلا ؟ لا يزن ثلاث اقات بعد رضاعته .

المتهم : ولكنه طفلي . ولم انجبه بمخبرة هاتفية .

القاضي : حسنا ، حسنا . ما لون عينيه ؟

المتهم : زرقاوان .

الحاجب : بل سوداوان .

المتهم : ولكنها زرقاوان ، كل جيراننا يعرفون انها زرقاوان .

القاضي : ولكن ما هو مكتوب امامي يؤكد انها سوداوان .

المتهم : اذا سوداوان .

القاضي : لا تغضب ، انه القانون .

الحاجب : لقد بدأ المهر يحني عنقه .

القاضي : يشمش الارض ويرفس .

الحاجب : يكفي . تابع .

القاضي : ما عمره ؟

المتهم : ثلاث سنوات .

القاضي : ولكن ما هو مكتوب امامي يؤكد ان عمره سنتان .

المتهم : ولكن عمره ثلاث سنوات ياسيدي .

القاضي : قلت سنتين ولن اضيف ساعة واحدة بعد ذلك .

المتهم : ولكنني اعرف عمر العصافير التي غردت ساعة ولادته .

القاضي : مستحيل . انه القانون .

المتهم : سيدي . ليجلس القانون في حجري ويلف ساقا على ساق . قد تكون له

علاقة بالسياسة ، بالاقتصاد ، بالرشاشات ؛ ولكن ما علاقته بطفل صغير ،

او بعمره ولون عينيه ؟ سيدي ، حدثني مرة اخرى عن القانون وسأطير من

النافذة . (بصوت خافت وحزين ، وهو يكاد يبكي) سيدي اؤكد لك ، اؤكد

لك ياسيدي ، انك لم تر في حياتك كلها ثوبا صغيرا معلقا الى الحائط دون

اصابع صغيرة خارج اكمامه ، دون حلوى في جيوبه .

القاضي : وهل تريد ان نعلقه ميتا على الحائط ؟ لقد قتل خطأ وانتهى الامر .

المتهم : سيدي ، وما الفرق في ان يموت خطأ او يموت على الآلة الحاسبة ؟

الحاجب : هل تريد ان تتحدث عن دوافع الجريمة ، والا انفجرت بك وبالعالم اجمع ؟

المتهم : طبعاً طبعاً ، سأحدث عن دوافع الجريمة . انني اعتذر . لقد كان موضوع الطفل

جانانيا بالفعل ، لانني قطفته عن شجرة ، او كبست زرا على بطن امه

فانجبت . انني اعتذر مرة اخرى ، ولكنني حائر كيف ابدأ ، لان ما حدث

شيء فظيع ، فظيع جداً ، وعلي ان التحمل نصف النتائج على الاقل : والا

ما معنى تحية العلم في الزمهرير ، ما معنى كل المجامع التي دحرجت عبر التاريخ

من اجل العدالة والمساواة ؟

الحاجب : سيدي ، هل تسمح لي بان ادخرجه قليلا امام هذه المنصة ؟

القاضي : لا ، ليس الآن .

الحاجب : (يبكي) ارجوك يا سيدي .

القاضي : ليس الآن ، ليس الآن . لقد انتصف النهار ونحن ما زلنا نقفز كالجراد على

ابواب الحادث . هيا تكلم ايها المتهم .

المتهم : اذاً لن تسمح له بدحرجتي امام هذه المنصة ؟ شكراً يا سيدي ، شكراً .

القاضي : هيا ، تكلم في صميم الموضوع ، في صميمه تماماً .

المتهم : ولكن طفلي قتل مع جدته امام قصر الامير ودفن في ذات اللحظة .

الحاجب : (صارخاً ومزجراً) وهذه الصفحات ؟ هل ادفنها في احد الادراج ؟ يجب ان

تحاكم بجوبها .

المتهم : ولكن لا صحة لها .
الحاجب : لا يهمني . لقد دوتها رجال مختصون يتقاضون راتباً من الدولة ، ووضعوا لها تاريخاً وحاشية ورقماً متسلسلاً ، وشطبها بعد كل ذلك كشطب وجهي بسكين .

المتهم : إذاً أريد شهودي .
القاضي : من هم شهودك ؟
المتهم : حبيتي وأطفالي وأوراق الخريف . (تهب رياح قوية في تلك اللحظة تقلب الأوراق عن المنضدة ، وتضرب الستائر بينما شمالاً) .

القاضي : وهل يأتي الخريف ؟
المتهم : نعم يا سيدي .

القاضي : (فزعاً) هل انت جاداً ايها السيد ؟
المتهم : نعم يا سيدي . (الريح تشتد وتصف بقوة) .

القاضي : (بذعر) كيف ومتى ؟ اخبرني بذلك ، ارجوك .
المتهم : سيأتي من النافذة ، او المحبرة ، حزينا يشهر سيفه .

القاضي : يا الهي .
المتهم : ساخطاً ومقهوراً ، وكل حضارات العالم ملصوقة على وجهه كالتوالييل .

(تظلم السماء فجأة وتكفهر ، تبدو زوابع الغبار من الخارج وكأنها تريد ان تلتهم وتدمر كل شيء) .

القاضي : يا الهي .
المتهم : ستستيقظ ذات صباح لتجد كل شيء اصفر وشاحب عينيكَ وأوراقك

زوجتك وأطفالك واسنانك ومدافعك .
وكان كل مرارة في العالم قد انفجرت
وسالت على مبعدة امتار من مكانها .

القاضي : (بهلع كبير) ايها الحاجب ، نادِ الشهود . نادِ الشهود .
الحاجب : تعالي ايها المرأة . (المرأة تجيب) .

تعالموا ايها الاطفال . (الاطفال يحيون) .
تعالم ايها الخريف . (صدى) .
تعالم ايها الخريف . (صدى) .
تعالم ايها الخريف . (صدى) .

سيدي ، الخريف لا يجيب .

القاضي : (باطمئنان مزوج بالذعر) اسمعت ؟ اسمعت ؟ انه لن يأتي .

المتهم : انه يتحضر ياسيدي . (ستار) .

(تدخل زوجة المتهم ، وهي امرأة جميلة حنطية اللون ممزقة الثياب وقد تدلى نصف ثديها الى الخارج ، فرعة ملهوفة ، يجرها حارسان عملاقان ويطرخانها متهالكة وسط المحكمة ، ويجانبها حارس جريح) .

القاضي : (مغطيا وجهه بيديه) ما هذا ؟ هل انت على شاطئ البحر ؟

الزوجة : (تحاول ستر عريها) انني ... انني ...

المتهم : لا ترتبكي يا يمامتي . قفي كما انت .

القاضي : لا يجوز . لا يجوز .

المتهم : (صارخا) ولماذا لايجوز ؟ هل تهيج العدالة ؟

الجريح : انها تبدو كقديسة بالنسبة لما كانت عليه عندما وقع الحادث يا سيدي .

المتهم : يا للشهامة . انني واثق من انه لا يعرف الفرق بين جبل عرفات وجبل طارق .

الزوجة : بل انا واثقة بانه لا يعرف كم ثديا لأمه .

الجريح : سيدي ، هذا نموذج بسيط لما قاسيته منها عندما وقع الحادث .

الزوجة : (للقاضي) ليتك كنت هناك ياسيدي .

المتهم : اي بمعنى انك لن تكون في اي مكان .

الجريح : انها يكذبان . ليتني استطيع ان اريك آثار كلماتها عندما وقع الحادث ، لقد

حطما كبريائي بفأس ، ولطخا معطفي الجديد هذا بلطخ لن تزول الا بدمها .

الزوجة : ودم الطفلين الباقيين ، اليس كذلك ؟ (تبكي) .

الجريح : هذا اتركه لعدالة المحكمة .

المتهم : يا يمامتي الغالية ، انك تحتضرين .

الحاجب : لا احتضار اثناء المحاكمة . بل الاحتضار حتى اعود . (يخرج) .

الزوجة : (للقاضي) سيدي ، انه يطالب بدمنا لازالة تلك اللطخ عن وشاحه الجميل هذا ؛

ولكنني اؤكد له انه ما من مصبغة بشرية في العالم يمكنها ان تزيل ما على

وشاحه الجميل من ادران ، ليس دمنا فحسب ، بل دماء الملايين . اما دم

الطفلين الصغيرين ، بل دم كل اطفال العالم ، فلن يكفي حتى الباقية او الازرار .

(توجه كلامها للجريح) انني اقطف لك نهدي باسنائي ، واقدمه لك هدية

وتعويضاً عن ذلك الحادث الرهيب . (متهمكة) عندما وقع الحادث ...
عندما وقع الحادث ... منذ اول الجلسة وانت تقول وتتلثم : عندما وقع
الحادث ... عندما وقع الحادث ... (صارخة) هيا انطق هذه الجوهره .

القاضي : (صارخا ايضا) ان ما تقوله صحيح ، فأنا شخصيا اصبح عندي شبق قضائي
لمعرفة هذا الحادث .

الجريح : لقد شتاني وضرباني بسنبلة .

القاضي : ماذا قلت ؟ شتاك وضرباك بسنبلة ؟

الجريح : (يبكي) بل بسنبلتين ياسيدي .

القاضي : وانت بوشاحك الجميل هذا ؟

الجريح : وهل كنت اقوم بواجي عاريا ياسيدي ؟

القاضي : هيا ، هيا تكلم في الموضوع مباشرة . يا للعار !

الجريح : (وهو يسح دموعه بكمه) سيدي ، ان الدنيا كلها غائمة في رأسي ، بل كل شيء

غامث ولعين . كنت اقوم بواجي في شارع مقفر ، عندما سمعتها يهتفان للمطر

والحب . وكل ما فعلته عند ذلك انني زمجرت قليلا وطلبت بطاقتهم الشخصية

فرفضوا ، اما الطفل فقد قدم لي طابته . سيدي ، ان ما حدث شيء لا يحتمل ،

وغوصي في الموضوع اكثر من ذلك يعني دماري دمارا كاملا كفنان وانسان

متصوف مجبول . لقد اطلقت الرصاص على الطفل دون ان اسيء بكلمة واحدة

الى والديه . فهشمتني على اثر ذلك تهشيبا بالسنابل . (يبكي ويتابع كلامه)

سيدي ، لي رجاء واحد فقط : لقد ذكر في افادتي الاولى ان الحادث وقع في

الحريف . انني اريده ان يكون في الربيع .

الزوجة : سيدي ، انه ليس كاذبا فحسب ، بل هو عالم ذري في هذا الميدان .

الجريح : (يبكي) سيدي ، انظر ، يريدان ان يضرباني . انني لن اقبل هذه الالهات

تحت قوس المحكمة .

القاضي : لا تبتئس يا بني ، فكرامتك سترد اليك وكأنها محفوظة في مصرف .

المتهم : (صارخا يحنون) سيدي ، لم اعد اطيع هذه المهزلة ، بل لم اعد اطيع واحدة

من عشرة منها . اريد اطفالي شهودا ، الآن ، وقبل ان ازدرد لعابي .

القاضي : ليدخل الاطفال . (يدخل حارس مدجج بالسلاح ، يحمل قفصين في كل منهما طفل ،

ويضعهما عند قدمي القاضي) .

الزوجة : رباه انظر . (غاطبة لا احد) انظروا ، لم يلتفتا الي . انها لم يتعرفا علي .

المتهم : قد يظنانك القاضي نفسه ، او قد يظنان القاضي ابريقا او منشفة .

- الزوجة : يا الهي . انظر ، لقد شابت اصداغها الصغيرة وتجمعت انفاهما كالكهول .
- القاضي : سكوت . (يوجه حديثه للطفلين وهما داخل الاقفاص) أنتما شاهدان ام متهان ؟
- الطفلان : اخرجنا من اقفاصنا لنقول لك .
- القاضي : ولماذا ؟ حتى تجعللا هذه المحكمة كغرفة استقبال بعد ذهاب الضيوف ؟
- اخرجهما ايها الحارس . (يخرج الطفلان من قفصيهما ، وقد غطاها الشيب وكستهما الاقدار) .
- الزوجة : رباه ، لقد شابا كأسرى العصور الحجرية . انظر . برعمان صغيران يغطيهما الشيب . (تنتحب) .
- المتهم : يا طفليّ القذرين ، انكما اشبه بقطعتين قذرتين من الثلج الشاحب ، بل كآثار كعبين صغيرين على طريق يغطيه الثلج الشاحب .
- القاضي : (للطفلين) والآن أنتما شاهدان ام متهان ؟
- الطفلان : لا نعرف يا سيدي .
- القاضي : وماذا تعرفان اذا ؟ هيا تكلميا .
- الطفلان : لا نستطيع ياسيدي . شفاهنا يابسة كالتنك .
- القاضي : وماذا افعل لكم ؟
- الطفلان : قطرة حليب لكل منا ، بل نصف قطرة ونغرد لك كالطيور .
- القاضي : اريد اعترافا لا تغريدا . (يتناول الحارس ابريق الماء عن الطاولة ويشرب بصوت مسموع) .
- المتهم : يا الهي ، لقد طارت الرحمة كقبة في الريح .
- الطفل : ايها الحاجب . سأعطيك دميقي ولكن اعطني قطرة ماء .
- الطفلة : سأعطيك شريطي ، ومشطي الصغير ، ولكن اعطني قطرة ماء .
- الزوجة : لقد انتهى العالم .
- الجريح : ان هذا الطفل يتكلم وكأنه—
- الطفل : لا لست ماركسيا ياسيدي ، ولكنهم يقدمون لنا الطعام والماء باغطية الزجاجات .
- الطفلة : (تخرج عددا من الاغطية من جيوبها) لقد جمعت منها كثيرا . سألعب بها في الزقاق عندما يطلق سراحني . (تبكي) .
- المتهم : يا طفلي الصغيرة ، اذا كان مشطك الصغير هذا يؤثر في شعر الماعز ، يؤثر في مثل هؤلاء . انك لست كفراشة بل كنصف فراشة ؛ لم تنمي اصبعها واحدا منذ اجيال .

- الطفلة : لا اريد ان انمو يا ابي .
- المتهم : ولماذا يا ابنتي ؟
- الطفلة : لقد رأيت أكثر مما يحتمل من الحياة . انني ارتجف يا ابي . اعطني شيئاً لا تدثر به .
- المتهم : وبماذا ادثرك يا طفلي ، وليس لديّ حتى نصف محرمة ؟
- الطفلة : ولا تستطيع ان تطعمني ؟
- المتهم : لا استطيع يا ابنتي .
- الطفلة : اذن سأهجرك يا ابي .
- المتهم : كما تشائين يا ابنتي .
- القاضي : ابعدوا هذه الطفلة ، ولتقدم الطفل . (الطفل يتقدم ببطء واعياء) .
- المتهم : يا طفلي الصغير الحبيب .
- الطفل : ارجوك يا ابي ، اريد ان انهي محاكمتي بهدوء .
- المتهم : آه يا طفلي الصغير البائس .
- الطفل : لا شيء نتحدث عنه يا ابي .
- المتهم : ولماذا يا بني ؟ والحياة امامك تصطبخب كالامواج .
- الطفل : سأنتحر هذه الليلة .
- الطفلة : نعم ، لقد عضّ شريانك ليلة امس ، ولكنه بكى من الالم وملأ قفصه صراخاً .
- القاضي : لا تصنع اليه ايها الطفل . اسمع ؟ انا القاضي وليس هو .
- الطفل : ولكنه ابي .
- القاضي : انني ارفع لك قبعتي احتراماً وتبجيلاً ، وماذا في الامر ؟
- الطفل : لا شيء . انني اعتذر .
- الزوجة : يا الهي ، انه لا ينظر اليّ . انه كوحش صغير في الصحراء .
- القاضي : (للطفل) هل انت مريض ؟
- الطفل : لا .
- القاضي : هل انت معافى ؟
- الطفل : لا .
- القاضي : هل انت حزين ؟
- الطفل : لا .
- القاضي : هل انت سعيد ؟

الطفل : لا .

القاضي : هل تكره اباك وامك ؟

الطفل : لا .

القاضي : هل تحبها ؟

الطفل : لا .

القاضي : هل تريد ان تخرج من هذا القفص وتلهو مع رفاقك الصغار في الشارع ؟

الطفل : (يندفع صارخا ومنتحبا ويقبل قدمي القاضي) نعم ياسيدي . انني اقبل قدميك ،

ولكن لا تعدني اليه . سأعطيك طابتي وطوقى هذا ، ولكن لا تعدني اليه .

(يظل الطفل مكبا على قدمي القاضي) .

القاضي : انهض واقسم على الكتاب المقدس انك تقول الحق .

الطفل : (ينهض ويضع يده على الهبرة) .

القاضي : (صارخا) يا لك من ابله وما كر . لقد ادركت نواياك . هذه محبرة وليست

كتابا مقدسا . الا تعرفها ؟

المتهم : ارجوك ، لا تزجره ياسيدي : انه ليس الا طفلا صغيرا ولا يعرف شيئا ؛

قضى كل حياته في المعتقلات . حتى لو سألته عن ثدي امه هذا لن يعرفه ،

سيظنه دملة او نتؤا من اللحم .

الحاجب : (يدخل فجأة ويخاطب القاضي وهو يقضم تفاحة حمراء باسنانه) اقرأ قرار المحكمة

ايها القاضي .

القاضي : (بعد ان يأخذ وضعية القاضي) باسم الشعب :

نظرا للافادات والوقائع الدامغة في الجريمة النكراء موضوع الدعوى ،

وبعد الاستماع الى كافة الشهود والمحامين ، وتمحيص مختلف الاضبارات

والاستمارات ، وبناء على اعتراف المتهمين جميعا اعترافات صريحة واضحة لا لبس

فيها ولا ايهام ، قررت المحكمة اعدام المتهمين شنقا تحت شجرة خريف جرداء

في ليلة عاصفة .

اما الطفلان الصغيران ، فسيعدمان نظرا لصغر سنهما ببندقيتين صغيرتين .

الحاجب : ليؤخذ المتهمان الرئيسيان ، ولتدخل فرقة الرمي الوطنية .

(تقفر القاعة من الجميع ، ويبقى الطفلان كدمعتين صغيرتين في صحراء العالم . ينظر واحدهما

للآخر ، وهما متشابكا الايدي . ثم تظلم القاعة فجأة ، وتهب رياح قوية تحطم زجاج

النوافذ وتلقي بشظاياها على الصخور ، بينما تتأرجح الستائر وتتألق بالوان نارية داكنة .

ويسود القاعة جو لا يحتمل من الرعب والغبار والاعشاب اليابسة) .

(تدخل فرقة الرمي وتشكل نصف دائرة حول الطفلين الفرعين ، بعد ان يحزما

جيدا الى خشبتين متجاورتين ، وقد اخفى كل منهما طابته خلف ظهره ، وهو ينظر برعب حقيقي الى فوهات البنادق ، وفجأة تدوي طلقات الرصاص وتهتز اركان الغرفة هزا بكل ما فيها ، تخرج فرقة الرمي ، ويبقى الطفلان مضرجين بالدم . وقد تدلى رأس كل منهما على صدره ، وتدحرجت طابته بهدوء على الارض . ثم تهب ريح قوية اخرى محملة بالغبار والاشواك واوراق الصحف ، يرفرف خلالها عصفوران غريبان ثم يحط كل منهما على خشبة) .

الريح :

في الشرق او في الغرب
في زمن المصاعد الجامحة
او الخيول المكبّنة على قوائمها
في الليل او في النهار
قبل تناول الافطار وبعد تناول المسكنات
بين عظام القراصنة
والعيون المفقوعة بين الرمال
ستنبت ازهار صغيرة كأسنان الاطفال
ازهار مقصومة الظهر
تحمل فوق عبيرها المتواري
حضارات بائسة وجيوشا مخدوشة بالاظافر
كما تحمل الطابة فوق الماء
ماء مشرد وحزين
سنحفر مصبّه في اعماق الارض
لا بالسبابات ورؤوس المظلات
ولكن بالاهداب واطراف السلاسل

عصفور : اذا نبتت زهور ما -

العصفور الآخر: قد لا تنبت زهور ما . (ستار) .